

## الأمثال في حياة اللغة

للأستاذ حامد حفنى داود

—•••••—

— ٢ —

عرفنا أن الأمثال واحة الحديث توهمان . وأن هذين للتوهمين — وحدهما — استطاعا أن يسيرا الحياة على ما فيها من خير وشر ، وما فيها من فصاحة مقبولة وهجنة عمقوة ، ثم هما استطاعا أن يكشفنا عن أصول العربية الفصحى تارة وعمملا رواسب العامية الإقليمية الطارئة تارة أخرى ، ثم هما إلى جانب هذا وذلك يستجيبان للحياة ويعيشان في نفوس الناس ، ويمثلان كل ما طارأ على اللغة من نماء مطرد وتطور مستمر يدل دلالة قاطعة على أن اللغة كأثر حي يبيض ويتطور كثيره من الأحياء إذا عرفنا كل ذلك فإننا بلا شك نستطيع أن نحدد موقفنا من العربية إذا أردنا أن نأخذ بزمامها ، وأن ندفعها إلى الصف الأول الذى كانت تحتله في صدر الإسلام — يوم كان القرآن وكانت الفصحى وقبل أن تختلط بالمعجم وتصاب بما أصيبت به من رواسب اللغات الإقليمية سواء في مقاطعها وإعرابها وتراكيبها

فقد هبطت اللغة العربية — بعد أن خرجت من الجزيرة — في أقاليم جديدة لم يتكلم أهلها بالعربية من قبل . وانتشرت في

يسمح بحضور مس سوليفان معلّمها معها لكن تنقل إليها الكلام والأسئلة . وهي تقدم الأجوبة مكتوبة على الآلة الكاتبة . فسمع ، ولكن لما كانت تتقدم للامتحان لم يسمعوا لمس سوليفان أن تترجم لها . بل كانوا يقدمون لها الأسئلة مكتوبة بلغة المميان على الآلة احترازا من أن تدس مس سوليفان لها بعض ملاحظات . ما دخلت هل امتحاننا إلا خرجت فائزة

الجهة في العدد القادم

نعمود المراد

هذه الأقاليم بسرعة عجيبة لم يمهّد تاريخ اللغات مثلها . وساعدها على هذا الانتشار أنها كانت تحمل لواء الدين الجديد في عيبتها ، والانقلاب السيامى والتحول التاريخى الأكبر في يسارها . ولكن هذا الانتشار — على الرغم من كل هذه السرعة — لم يتم في يوم وليلة وإنما كان نتيجة تفاعل مستمر بين اللغتين « الفارسية » و « المحلية » دام وقتا من الزمن تحققت فيه الغلبة — تارة — للغة الفارسية التي فرضت نفسها في مصر وبلاد المغرب ونحوم العراق والشام ، على حين استمسكت أقاليم أخرى كالهند وبلاد فارس بلغاتها المحلية بمد أن اعتصمت بموامل كثيرة حفظت لها طابعها القديم وأبقت عليها كيانها وثقافتها . وهي عوامل كثيرة نترك الحديث عنها إلى موضوع آخر يتعلق بطبيعة اللغة ومقوماتها ، ولكن الشئ الذى لا بد من ذكره أن العربية استطاعت أن تترك أثرها في كائنا الحالتين لأن « الأثر » نتيجة حتمية لـ « المؤثر » مهما كان ضيقا ، كما أن « التفاعل » السكياوى « نتيجة حتمية لـ « المواد القابلة للتفاعل » مهما اختلفت كياتها

ففي مصر تغلبت العربية على اللغة القبطية ثم تفاعلت بلغات أخرى كالفارسية والتركية . ولا زلنا نرى آثار هذه اللغات في ( العامية المصرية ) . أما في العراق فقد كانت رواسب الفارسية أعمق وأشد ظهورا في طياتهم . على حين نرى شيئا من آثار التركية وقليلًا من السريانية في بلاد الشام

ونحن إذا تتبعنا أقاليم الصنف الثانى التي لم تفزها اللغة العربية فزوا تاما رأينا أنها خضعت بالمثل لنظرية ( المؤثر والأثر ) وهذا على الرغم من قوتها الدياسية ، وعلى الرغم من ابتعادها عن مركز الثقافة العربية . فأتت ترى أن اللغة الفارسية القديمة التي تسمى ( الفهلوية ) تنطور بسبب هذا التفاعل وتبدو في ثوب جديد هو ( الفارسية الحديثة ) . وقد أثبت البحث اللغوى أن ستين في المائة من ألفاظها عربى صرف . كما ترى أن اللغات الهندية التي تمت بصلة إلى الفصيحة ( السنسكريتية ) نالت ما نالته أختها من الأثر فظهرت إحداها في ثوب جديد هو ( اللغة الأردوية ) . وإن ما اشتملت عليه الأردو من ألفاظ عربية لأ كبر دليل يؤيد استمرار هذا التفاعل

بمعالج الفسكرة الأدبية وبواجهها في حيز حياته وبيئته، ولكنها تخرج بيفاء يردد ما لا يفهم وإن فهم شيئاً أو طالع فهو بسفاد الشراب أو بالكبريت الأحمر أشبه

٥٥٥

وهنا يحق لك أن تسألني : وما علاقة تدريس الأدب بالأمثال في حياة اللغة ؟ وكيف تستغل هذا الفن في تدريس الأدب لتلاميذ هذه المرحلة - إن كانت هناك علاقة

أما عن علاقة الأمثال بفنون اللغة وآدابها فلا سبيل إلى تكراره بعد الذي ذكرته لك من صلات وطيدة بين لغة الحديث والأمثال والحياة . بينما نحس بخطورة البحث وأهمية التطبيق حين نتفكر في هذا الفن وتبحث فيه على أنه وسيلة من وسائل إصلاح اللغة والنهوض بآدابها . وهي في المدرسة غير المجتمع العام

ففي المدرسة أرى أن تستغل دراسة الأمثال العربية الأصيلة في الفصول الأولى من مدارس هذه المرحلة . ويرجع المدرس في ذلك إلى الكتب المتقدمة في هذا الباب ككتاب الأمثال للميداني . ويلتقط منها بقدر الطاقة ما يقابل الأمثال العامة في معناها ومبناها ومرماها . ويستطيع الربى الحصيف أن يتبع في تدريس الأدب الدربي في هذه الصورة نجاحاً محققاً ؛ وأن ينهض بالثروة اللغوية والأدبية للأسباب الآتية :

١ - أن نصوص الأمثال في ذاتها سهلة ميسورة مهما التوت مقرراتها اللغوية ؛ لانتساع معناها وجرس مبناها ، ولأن لها في الغالب ما يقابلها من الأمثال العامة ولو من ناحية المعنى والمزج

٢ - أن الناشئة في هذا المقام يحاطون بمجو عربي خالص ، وذلك حين يعرض المدرس إلى دراسة ما حول « المثل » من تاريخ وأحداث طريقة دعت العربي إلى إرساله في هذه الصورة وهو في بيئته العربية

٣ - وبقدر ما يكون الحديث عن الأمثال وأسباب إرسالها قريباً من جو النص - يكون نجاح المدرس في دراسة نصوصها ، لأن التلاميذ في هذا الدرر حديثو عهد بدراسة

وإذا كانت الأمثال - كما قدمنا في المقال السابق - تلونت بالبيئة وتطورت مع الزمن كما تلونت لغة الحديث وتطورت تماماً - أدركنا بوضوح ما بين الأمثال ولغة الحديث من سمات عجيبة كشفها أمامنا الاستقراء ولم نصنعها صنماً أو نبتدها ابتداءً ، ثم إذا كانت الأمثال - وحدها من بين فنون النثر - هي التي استطاعت أن تستمر مع الزمن وتلين لهذا التفاعل الدائم كما استمرت ولغات لغة الحديث - كان خليقاً بنا أن ندرك رجوع الشبه بينهما وأن نقف عندهما وقفة المصلح اللغوي الذي يتلصص بالطريقة المثلى في النهوض بأمر اللغة ، وإن موقف المصلح اللغوي هنا يشبه تماماً موقف العالم الطبيعي الذي يقوسل إلى معرفة الشيء بشبهه . ريقس ما غمض عليه من المسائل بما وضع أمامه منها حتى يصل من البسيط إلى المركب ، أو قل هو كالطبيب الجرب الذي يستخدم دماء الأسماء في حقن أجسام الرضى من بنى الفصيلة الواحدة

والأمثال - عنده - هي النص الأدبي الخلى الذي لم يعقوره الجفاف أو ياحق به الجلود أو تحجبه الصنعة أو يحول فيه التمسكف والتمعمل دون تذوق الناس له سواء الخاصة منهم والعامة . فما أشد حاجة ذلك المصلح إلى أن يتخذ من مادة ذلك النص المصل الواقى الذي يبيد به الحياة إلى رمج هذه الفنون اللغوية الأخرى إذا أراد أن يرفع من مستوى تعليمها ونشرها وهكذا يصبح تعليم الأدب في مدارس المرحلة الثانوية بأنواعها قاصراً عن أداء الرسالة التي نشدها من تذوق النص الأدبي ما دلتنا لا نمالجه في هذه الصورة الحية . بل إن تدريس الأدب للناشئة في صورة ما يشرح لهم من جيد الشعر والنثر يعتبر دراسة كلاسيكية تقليدية لا تصلح لهذه المرحلة من التعليم ، لأن الصلة بين هذه النصوص وبين نفوس التلاميذ تكاد تكون مفقودة ، بعيدة كل البعد عن متناول مداركهم . وهي صورة بتره لا تحقق الجانب العملي المقصود في الدراسات الأدبية الحية - إلا إذا أردنا أن نخرج ناشئة يستوعبون ولا يتذوقون ، ويفهمون الفسكرة فهما طيراً ولا يمارسونها ممارسة عملية . إن مثل هذه الدراسات لا يمكن بحال أن تخرج أدبياً إنشائها

العامة وقابرها، وأن يقرب أذهان القارئ من أسوأها الفصحى حتى إذا حقق هذا الغرض أخذ بأيديهم إلى متابعتها في كتب الأدب . وهذا واجب كتاب القصة في مصر وواجب المتأديين من علماء النفس

ومن هنا تتقارب الخطى وتسد الثغور وترسم الثلمات ويرأب الصدع وتقف من الطبيعة موقف الحكيم المتفطن الذي يستطيع بلباقته أن يتحكم فيها وأن يوجهها توجيهها علميا لا يتناقى مع قوانينها . أريد أن أقول : إننا بهذا القدر نستطيع أن نوجه النماء المطرد في اللغة العربية ككائن حي، وأن نقوم من أعوجاجها في لغوسنا - لافي ذاتها - وذلك العمل جدير بالتنفيذ، وهو أعظم مما نقوم به للهوم من تعريب وتصويب

حامد هفنى راود

أساذ اللغة العربية والقرية بمدارس الملين

القصص في مدارس المرحلة الأولى . وطبيبة الأمثال وانتشارها في بيئتهم تعريب بحفظها واستعمالها في مواضعها من الكلام ، وتعلمهم على تتبع مايقوله المدرس وما يصطنعه من إثارة المشكلات خلال هذه الدراسة . وفي ذلك نجاح كبير وتحقيق الأهداف التي تدعو إليها التربية الحديثة . وهو علاج الفكرة في حيز الحياة نفسها !

٤ ... وأخيرا يستطيع المدرس في دراسة نصوص الأمثال على الرغم من ضآلة طولها أن يحقق من الفائدة مالا يستطيعه في تدريس درس من الشعر أو فنون من فنون النثر الأخرى ، لأن هذه الأمثال تعتبر درسا في الحياة الاجتماعية عند العرب ودرسا في التاريخ ودرسا في الأساليب العربية ودرسا في مقدرات اللغة - بالإضافة إلى إحياء آرائنا الأدبي القديم

وإذا زود التلاميذ بدراسة النصوص الأدبية في هذه الصورة وسهنا على هذا النوع من الذوق سهل عليهم أن يتذوقوا نصوصا من الشعر والنثر في السنوات المقبلة . كما يستطيعون بعد ذلك أن يزودوا بمجالة من النصوص تمثل تطور التاريخ الأدبي في كل عصر . وعند ذلك يحقق الغرض المقصود من تدريس الأدب في هذه المرحلة - الذي يهدف إلى التقدير ومقاومة المهت

٥٥٥

ذلك في المدرسة . . أما في المجتمع فيتسع مجال الإصلاح ويتضاعف واجبنا في النهوض بحياة إخواننا العامة : الفكرية والأدبية . ولدينا من إقبال طامة المثقفين على القصص وكتب الأدب ما يشجع على رفع مستوى العامة وينمض بها حتى تصبح أقرب إلى الفصحى مما كانت عليه بالأمس القريب . ولن يكون ذلك إلا بملاج لغة الحديث من الطريق الحساس الذي يعول إليه العامة وتألفه نفوسهم .. ألا وهو « الأمثال للعامة » فنقدم إليهم قصصا مبسطة يزودون فيها بهذه الأمثال . والكتاب الخارج هو الذي يستطيع بلباقته أن يصل بين حاضر الأمثال

فَأَيْتَكَ

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

إحدى روائع القصص المالي الواقعي

لشاعر فرنسا الخالف

\* لامرتين \*

منها ٢٥ لرشا عدا أجرة البريد